«مغاربة في خدمة فرانكو» لمارية روسا دي ماداريـاغا:

جهاد معرفي لتصحيح أعطاب التاريخ المشترك

منتصر حمادة*

■ «أتصور أن هذا الكتاب إضافة مهمة للمكتبة المغربية، وتعميق للتفاهم بين المغاربة والإسبان». هكذا أوجز محمد العربي المساري حيثيات كتاب «مغاربة في خدمة فرانكو» للأستاذة مارية روسا دي ماداريـاغا، وكان محقا في ذلك، كما كان محقا في تنبيه القارئ إلى أن الكتاب يخوض في موضوع في منتهى الدقة خلَّفَ التباسات ما زالت قائمة، ويتعلق الأمر بمشاركة الجنود المغاربة في الحرب الأهلية الإسبانية (1939/1936) التي قادهم إليها الجنرال فرانكو، حينما تَمَرَّدَ على الحكومة الشرعية، انطلاقا من الأراضي المغربية، التي كانت خاضعة للنفوذ الإسباني.

نحن في ضيافة مارية روسا دي ماداريـاغا من خلال كتابها الموسوم بـ«مغاربة في خدمة فرانكو». (ترجمة كنزة الغالي. منشورات الزمن. الرباط. سلسلة ضفاف. الكتاب العاشر. الرباط. الطبعة الأولى 2006. 301 صفحة من الحجم الكبير، ومعلوم أن المُتتبع المغربي تعرف على الأستاذة مارية روسا دي ماداريـاغا، حينما نشرت في جريدة إيل بابيس يوم 17 تموز (يوليو) 2002 نبذة مُرَكَّزة حول صخرة تاورة (ليلى) حيث وضعت الأمور في نصابها، وأوضحت بنزاهة علمية أن اسبانيا لم تمتلك الصخرة قط. وأما الخاصة والمطلعون في إسبانيا والمغرب، ومنهم المساري، فهم يعرفون الأستاذة ماداريـاغا، كخبيرة بالتاريخ المعاصر للعلاقات المغربية الإسبانية، خصوصا الفترة الاستعمارية، منذ بداية القرن العشرين.

وقد أولت الأستاذة دي ماداريـاغا لموضوع الريف والتحرك الإسباني في المغرب عناية خاصة، باعتباره مفتاحا يمكن من التعرف على جذور سوء التفاهم المزمن بين المغرب وإسبانيا، ونشرت في العقود الماضية أبحاثا عديدة في هذا الصدد آخرها كتاب صدر في نهاية السنة الماضية بعنوان (El Barranco del Lobo) وهو عن حروب إسبانيا في الريف ضد الشريف أمزيان، وابن عبد الكريم.

برأي المساري، فقد كانت لتلك المشاركة غير المرغوب فيها من لدن المغاربة، مخلفات جد سيئة، بل خطيرة على صورة المغرب والمغاربة في الذاكرة الإسبانية، ومن جراء الالتباسات التي أحاطت بتلك المشاركة، ترسبت في تلك الذاكرة، من كلا الجانبين المتحاربين صورة كريهة عن المغاربة الذين شاركوا في تلك الحرب، وتأتي المؤرخة دي ماداريـاغا اليوم لتذكر بأن أولئك المحاربين كانوا قد اقتيدوا إلى تلك المعمعة بإرادة من فرانكو الذي ذهب بهم إلى هناك. ولهذا اقترح صاحب التقديم عنوانا أكثر تدقيقا: «الموروس الذين أتى بهم فرانكو».

وبداية، مع أولى فقرات الكتاب، توضح ماداريـاغا أن مشاركة الجيوش المغربية، خلال الحرب الأهلية سنة 1936، إلى جانب فرانكو كانت من بين العوامل التي عملت على تأجيج وترسيخ الصورة المتجذرة سلفا في المتخيل الجماعي لدى الشعب الإسباني، لتنضاف الى تلك النظرة المرعبة والملتهبة مع مرور الزمن، والتي واكبت المواجهات بين المسيحية والإسلام، بالإضافة إلى الأحداث الحربية المتتالية بعد ذلك في أواسط القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، كحرب تطوان 1860/1859، ومليلية 1909/1893، ثم حرب الريف 1926/1921.

استغلال الفقر والجهل

ترى المؤلفة أن الفقر والظروف الاقتصادية كانا في جميع المستعمرات والمغرب من بينها، الدافع الأكبر وراء التسجيل في قوائم التجنيد ، لقد كان توالي سنوات الجفاف والمجاعة سببا رئيسيا في انخراط الكثيرين من قبائل الريف في القوات الإسبانية، وخلال فترات المجاعة كان الأهالي يأكلون جذور النباتات وحتى جثث الكلاب التي هلكت من الجوع. وهذه تأكيدات هامة من لدن المؤلفة، وتعمدت التوقف كثيرا عند البعد الاقتصادي الصرف في خلفيات لجوء «المورو» للحرب تحت لواء فرانكو، كما تعمدت سرد مجموعة من الشهادات والوثائق التي تزكي ذلك ـ ومنها شهادات شفوية من رجال عاصروا فترة عبد الكريم الخطابي حصلت عليها أثناء زيارة قامت بها لدراسة مناطق الحماية الإسبانية في عشرينيات القرن الماضي ـ وضمن هذه الشهادات ما صرح به أدكتسون نائب القنصل البريطاني بتطوان في رسالة له بتاريخ 14 كانون الثاني (يناير) 1920، جاء فيها بالحرف: «عانت كل الجهة من المجاعة لغاية أنه سجلت حالات تسمم كثيرة وخطيرة نظرا لأن الأهالي كانوا يأكلون حتى جذور النباتات السامة». لقد مكنت ظروف المجاعة من تقدم الجنود الإسبان بقيادة الجنرال سلفستري في مناطق قبائل الريف، بعد تعيينه قائدا عاما لمليلية في كانون الثاني (يناير) 1920».

رَوَّجَ الفرنكاويون للذهاب لإسبانيا من خلال شماعة «قتل اليهود»، وذلك للقضاء على اليهود الماسونيين والماركسيين، وتؤكد المؤلفة أن قلة من المغاربة كانت على اطلاع بمعاني «الماسونية» و«الماركسية»، بعبارة أخرى، نحن أمام تداخل لمفاهيم سياسية ودينية تروم تحفيز الجنود المغاربة للقتال باستماتة. وفيما يتعلق بما سُمِّيَ «استرجاع مسجد قرطبة»، فيندرج ذلك أيضا ضمن الخطاب الديماغوجي الذي كان يُرَوِّجُ له خصوصا من طرف القادة، الذين كانوا يستغلون أمية وجهل السكان.

يبقى العامل الاقتصادي إذن من بين الدوافع الأكثر تحفيزا وراء تجنيدهم خصوصا خلال فترات الجفاف ولم يكن ذلك مقتصرا على المغرب وحده، وكمثال على ذلك تورد ماداريـاغا نموذجا يعود لنفس الفترة في إسبانيا، ذكره القائد المؤقت لجنود الكتيبة 1937/1936 مانويل هيديلا أنه حينما أراد فرانكو في كانون الاول (ديسمبر) 1936 أن يجند رجالا لتقوية جيشه كان يحتاج إلى عشرة آلاف جندي.

بالنتيجة، انخرط المغاربة بكثافة في صفوف الجيش الإسباني وكان ذلك بسبب سنوات الجفاف الأولى (1935/1934) وظروف سنوات الحرب الأولى (1937) الأمر الذي سهل مأمورية القياد. وبالمقارنة مع راتبهم الشهري كانوا يتفانون لوضع أكبر عدد من المجندين رهن إشارة فرانكو. وبالمقابل كان الجنود المغاربة يحصلون على الأكل والشرب واللباس والراتب. وبما أن ظروف العيش كانت سيئة في الريف، فقد تجند عدد هام من الريفيين في صفوف فرانكوا منذ البداية هربا من البؤس والفقر.

أسد الريف وخائن الريف

ثمة سؤال طرح نفسه بإلحاح في هذا الصدد: كيف أن جنودا قاوموا هم أو أبناؤهم إلى جانب عبد الكريم الخطابي ينخرطون بعد ذلك ليقاتلوا في صف جيش فرانكو الذي عمل على سحق مقاومة الريف سنة 1926 بمَعِية الحماية الفرنسية؟

ألزمت إدارة الانقلابيين كل قائد من قادة المنطقة بتجنيد 500 جندي في قبيلته وقد برع بعضهم في هذه العملية سليمان الخطابي ابن عم قائد المقاومة عبد الكريم الخطابي. لم تكن هناك أية قرابة بين الرجلين للفرق الشاسع بينهما وربما استمد اسماعيل لقبه من انتمائه فقط لقبيلة آيت خطاب، إحدى مشارب بني ورياغل، وفي الوثائق الأولى، قبل انتفاضة الريف، التي ذكرت الأصدقاء الموروس، ضمن ما أطلق عليه الحزب الإسباني بأجدير، ورد اسم سليمان حافيا، أو سليمان بن محمد وقد يكون نفس سليمان للتشابه في اسم الأب محمد ونذكر بأن مسؤول الحزب الإسباني بأجدير كان اسمه الشريف سي امحمد بورجلية وكان منافسا له قبل ذلك والد عبد الكريم، أي قبل قطع علاقته بإسبانيا.

ليس هذا وحسب، فقد كانت الأخبار والمعلومات التي قدمها سليمان حول أجدير وبعض الأماكن الأخرى التي لم يكن للإسبان أي فكرة عنها، بالغة الأهمية بالنسبة لهم، ومنها معلومات عن صخور وخليج الحسيمة، على مشارف أجدير والصور التي التقطتها الطائرة كانت جد هامة في عملية إنزال الحسيمة في 8 شتنبر 1925، بحيث لم يكتف سليمان الخطابي بتقديم معلومات وأخبار هامة للإسبان، بل شارك في حركة هامة خلال حرب الريف ضد ابن عمه عبد الكريم، وقد يكون استعماله للقب الخطابي بإيجاد من الإسبان أنفسهم لزرع البلبلة والشك بين القبائل خلال حرب الريف، وقارنوا بين الخطابي السيء (عبد الكريم) والجيد أو الطيب (سليمان).

يبقى سليمان الخطابي جنديا صديقا لإسبانيا نظرا للخدمات التي قدمها، قبل أن يُرَحَّلَ قسرا من الريف إلى جزيرة نكور هربا من بطش عبد الكريم الخطابي، وظل هناك محتميا بالاسبان الذين نقلوه إلى اسبانيا وأكرموه، ولم يعد إلى الريف إلا في نفس الليلة التي سلَّمَ فيها عبد الكريم نفسه، حيث عُيِّنَ مباشرة بعد ذلك قائدا للمنطقة، جزاء على إخلاصه لإسبانيا، وعُيِّنَ بالتحديد باشا على مدينة الحسيمة. وكصديق مقرب من فرانكو كان سليمان الخطابي أكثر القادة تعاونا، حيث جَنَّدَ أكبر عدد في جيش فرانكو سنة 1936 وظهر من بعده آخرون برعوا في ذلك أيضا بمنطقة غمارة مثل البقالي الصديق الحميم لكاباز أو الملالي باشا القصر الكبير، لكن يبقى القلائل مثله من تحركوا بكل حماس وكفاءة.

وبشهادة أبناء الخطابي (أسد الريف وليس خائن الريف)، فقد شعر بألم عميق من منفاه حينما سمع بانقلاب فرانكو ضد الجمهورية، وقد كان حزنه أعمق حينما علِمَ أن مرتزقة من الريف قد انخرطوا في صفوف جيش فرانكو، الأمر الذي دفعه إلى مراسلة وجهاء الريف يحثهم على القيام بدورهم ومنع الناس من الانخراط في القوات المذكورة، لولا أن الأوضاع تطورت، بحيث لم يبق الوجهاء على عهده بهم، وأصبحوا كلهم من المتعاونين مع الفرنكاويين.

من الشهادات المُقرِفة الواردة في كتاب رائع، تلك الصادرة على لسان إحدى صغيرات أحفاد سليمان الخطابي، وتدرس بغرناطة، وتقول فيها للمؤلفة: «كان جدي إسبانيا أكثر من الإسبانيين وفرنكاويا أكثر من فرانكو»! وحقا، غريب أمر هذا الرجل، الذي بدا وكأنه يريد أن يمحي صورة الخطابي الآخر، أي عبد الكريم، ليتألق هو وحده كخطابي، لكنه لم يفلح الكل يعرف بأن الخطابي هو عبد الكريم وأن الآخر لم يكن إلا «باشا الحسيمة».

هنيئا لماضي الأندلس بدي ماذاريـاغا

نختتم هذا العرض بالتوقف عند إشارات متفرقة من الكتاب، وتهم الأولى موقف الحركة الوطنية في الشمال إزاء مشاركة مقاتلين مغاربة في صفوف فرانكو، والذي وصفته المؤلفة بالموقف البراغماتي، إذ أنهم وازنوا بين سلبية حكومة الجمهورية الإسبانية إزاءهم من 1931 إلى 1936، وبين الآفاق التي فتحت أمامهم حينما سمح لهم الجنرالات الانقلابيون بتأسيس حزب سياسي، والتحرك في المجالين السياسي بالداخل وفي مجال العلاقات مع المشرق. وبالمناسبة، كما يلاحظ المساري، قدمت دي ماداريـاغا نبذة عن الحركة الوطنية المغربية وتوجهاتها الرئيسية لدى نشأتها، وهي معطيات قلما نُقِلت إلى القارئ الإسباني.

أما الإشارة الثانية، فتبعث على التقزز، ما دامت مرتبطة بأعمال وحشية صدرت عن الجميع، وليس عن «المورو» هناك أو الجنود الإسبان، لولا أن ازدواجية بعض المستشرقين تحول دون تمرير قراءات منصفة فيما وصفه يوما عبد الكبير الخطيبي بالنقد المزدوج.

وبيت القصيد هنا أن صور المورو أُلصقت بكل الأعمال البشعة، لأنها في نَظر الإسبان لا يمكن أن يمارسها إلا متوحشون.

حينما مُورِست في المغرب، كان يُنظر إليها على أنها طبيعية، لأنها ضد «همج» لكنها لم تُقبَل في إسبانيا لأنها مورست في بلد متحضر وضد أناس «متحضرين».

كان الاعتداء والسلب والنهب والسرقة والعنف مكونا أساسيا للحرب في المغرب، وكذلك بتر الأعضاء والتنكيل بالجثث، وقد بقيت صحف تلك الفترة لمدة طويلة تنشر صورا من ذلك الصنف خصوصا خلال حرب الريف، مشاهد مقاتلين ريفيين مقطوعة رؤوسهم ومرفوعة فوق البنادق.

وفي شتنبر 1925، بعد إنزال الحسيمة، قام بريمو دي ريبيرا بجولة داخل وحدة الكتيبة الأجنبية فأبدى تقززه من منظر رؤوس الجنود المُعلَّقة، وكان يكره السلوك من كلا الجانبين، لقد كان قطع الرؤوس والأذان والخصي أمرا متداولا بين النظاميين واللفيف الأجنبي.

وهناك حكاية أفظع تعود لجندي إنكليزي كان يخرج لقنص المورو (كذا)، كان أحد المتطوعين بالكتيبة، ينحدر من سلالة دوق كونورث، وكان رجلا ثريا، أكد بأنه «انخرط في هذه الكتيبة من أجل الاستمتاع بممارسة رياضة قنص المورو. وبما أنه كان متعلما وشجاعا فقد ترقى إلى رتبة رقيب. وفي إحدى الأيام، طلب رخصة للخروج من أجل قنص المورو، وخرج معه خمسة عشر أو عشرون رقيبا.

قضى النهار وطول الليل بين الصبار. قتلوا على الأقل أربعة وعشرين من المورو وأسروا خمسة. لم يخطئ القناصة أي طلقة».

لأننا في حاجة إلى عقد مصالحة مع ذات الأنا والجار، فلا يسعنا إلا أن نُجَدِّدَ التأكيد على أن مارية روسا دي ماداريـاغا اجتهدت من خلال عملها هذا، وأعمالها السابقة، في تعميق التفاهم بين المغاربة والإسبان.

*كاتب من المغرب

رحيل سمير سرحان بعد 17 سنة على رأس هيئة الكتاب:

اختار اللذائذ وترك الخلود للمثقفين!

القاهرة ـ «القدس العربي»: من محمود قرني:

عن عمر يناهز الخامسة والستين رحل عن دنيانا الدكتور سمير سرحان في أحد مستشفيات القاهرة قبل أيام قلائل، بعد صراع استمر أربع سنوات مع مرض عضال.

والدكتور سمير سرحان واحد من أساتذة الأدب الانكليزي الأوائل بين رعيل من النقاد والمتأدبين بينهم محمد عناني، وماهر شفيق فريد، وعبد العزيز حمودة.

وكانت هذه المجموعة من أنشط طلبة كلية الآداب بجامعة القاهرة في خمسينيات القرن الماضي، وقد حصل الدكتور سمير سرحان على درجة الدكتوراه من الولايات المتحدة، ويعتبر واحدا من المبشرين الأوائل بمدرسة النقد الجديد الأمريكية وقد كتب مع رفاقه العديد من المقالات حول تدشين هذه المدرسة، كما ظهر ذلك جليا وبشكل خاص في ترجمات ماهر شفيق فريد.

ويعترف سمير سرحان أنه أفاد كثيرا من استاذه الدكتور رشاد رشدي الذي كان له الدور الكبير في دفع سرحان الى العمل العام، حيث تولى منذ عام 1986 رئاسة هيئة الكتاب وقد ظل رئيسا لمجلس إدارتها ما يقرب من السبعة عشر عاما، استطاع خلالها أن يقدم الكثير للثقافة المصرية والعربية.

وقد كانت السنوات الأولى في رئاسة سمير سرحان للهيئة خلفا للدكتور عز الدين اسماعيل، سنوات عمل دؤوب وسنوات صعود حقيقي لنشاطها، فقد استطاع ان يصدر عدة مجلات مهمة بعضها كان قائما بالفعل مثل مجلة «فصول المحكمة» التي تولى رئاستها الدكتور جابر عصفور خلفا لرئيس الهيئة السابق علي سرحان، ثم أنشأ مجلة «إبداع» التي ترأسها الدكتور عبدالقادر القط، وهي المجلة التي قدمت تجربة جيل السبعينيات في الشعر والقصة، والرواية، ثم أنشأ بعد ذلك المجلة الأهم في تاريخ الهيئة وهي مجلة «القاهرة» التي تولى رئاسة تحريرها الناقد الراحل غالي شكري، وهي المجلة التي تمكنت من ربط الثقافة المصرية بتيارات النقد في العالم واشتغلت على الكثير من جوانب فلسفة ما بعد الحداثة، وكذلك خاضت العديد من معارك الحرية مثلما فعلت في معركة تكفير الدكتور نصر حامد أبو زيد.

كذلك أصدر سرحان مجلة «عالم الكتاب وعلم النفس والفنون الشعبية»، وهي مجلة شديدة الأهمية في مجالها.

وعلى مستوى الاصدارات استطاع سرحان أن يقدم الأعمال الكاملة لكثير من كتابنا الكبار كما أنجز عددا من الموسوعات المهمة مثل كتاب «الأغاني» و«قصة الحضارة»، و«تاريخ مصر القديمة»، و«موسوعة وصف مصر»، كذلك قدم عددا من السلاسل المهمة واستكمل بعضها، مثلما حدث في سلسلة «الألف كتاب» التي قدمت عيون الكتب الفكرية والفلسفية الصادرة باللغات الأجنبية، ثم أشرف على مشروع مكتبة الأسرة الذي انطلق تحت اسم سلسلة التنوير، ثم المواجهة، وهو مشروع ـ في الاجمال ـ قدم انجازا شديد الأهمية للكتاب المصري والعربي. حيث مكن كل الراغبين من تكوين مكتبات بأسعار زهيدة.

سمير سرحان (القدس العربي)

غير أن بقاء سمير سرحان على رأس هيئة الكتاب لمدة طويلة أحالها الى خرابة كبيرة، وقد ورثها عنه الدكتور وحيد عبد المجيد ثم ناصر الأنصاري في أوضاع مأساوية تعجز معها عن صرف أجور العاملين.

وقد توقفت معظم المجلات التي أصدرها سرحان في سنواته الأخيرة بسبب سوء التوزيع وبسبب بقاء رؤساء التحرير على رأسها لسنوات طويلة، وتقلص مشروع مكتبة الأسرة الى حدود واسعة النطاق ولكن بعد أن تحول إلى أحد المفاسد التي لعبت دورا كبيرا في احتواء الكثير من المثقفين فحاد المشروع عن فكرته النبيلة التي قام من أجلها وها هو الآن يجني ثمار ما فعلته وزارة الثقافة وسمير سرحان عبر أكثر من خمسة عشر عاما.

وقد كان سمير سرحان واحدا من المهتمين بالمسرح بل كتب عدة مسرحيات لم تنل حظا واسعا من الشهرة، ويعد أشهر كتبه تلك السيرة الذاتية «على مقهى الحياة» التي طُبعت في أكثر من طبعة.

وقد كان الراحل واحدا من رواد قهوة «عبدالله» الشهيرة بميدان الجيزة عندما كان في مطالع الشباب حيث التحق بجلسة عبد الرحمن الخميسي ومحمود السعدني وأنور المعداوي وعبد القادر القط، وقد كان وقتها رقيق الحال لدرجة انه يحكي في مذكراته أنه كان يعود من ميدان الجيزة إلى منطقة ضواحي مصر الجديدة حيث يقيم مشيا على الأقدام لأنه لم يكن يملك قيمة تذكرة السيارة.

وقد عمل سمير سرحان في الجامعات السعودية لفترة تصل إلى خمس سنوات في منتصف السبعينيات، وقد اختير آنذاك للعمل كمترجم في منظمة المؤتمر الإسلامي.

ومن الطرائف التي تضمنتها احدى مقالاته انه كان مرافقا لرئيس المنظمة آنذاك «حسن التهامي» إلى إحدى الدول الأفريقية الصغيرة، وكان الذهاب إليها يقتضي الذهاب أولا إلى باريس ثم استقلال الطائرة من باريس إلى إحدى الدول الافريقية الكبرى ثم من هذه الدولة الكبرى إلى الدولة المعنية بالزيارة، وعندما وصلوا إلى هذه الدولة بعد أكثر من أربع وعشرين ساعة وجدوا الطائرة التي ستقلهم صغيرة جدا ومخيفة وما أن وصلوا إلى أرض المطار حتى هبط سرحان مسرعا قبل بقية الوفد ليتخلص من ضيق المكان، فإذا برئيس الدولة يستقبله باعتباره رئيس المنظمة ويصحبه في سيارته وسط جماهير حاشدة بينما كان حسن التهامي في السيارة الخلفية يطل برأسه ويصرخ أن هذا هو الرئيس المزيف ولكن هيهات.

رحل سمير سرحان وقد خلف الكثير من الأعمال الجيدة كما خلف الكثير من الأعمال الرديئة، لكنه لم يبق مبدعا كما أراد، ولم يبق ناقدا كما أرادت له الجامعة، ولم يبق مترجما على رسل أقرانه، لكنه اختار العمل العام، وكان عادة ما يقول لأقرانه أنه ترك لهم المجد والخلود، وأخذ الدنيا الفانية التي يحب أن يتعلق بأذيالها.

لقد مات سرحان مقهورا بزيجاته الجحيمية التي فشلت كلها وانتهت بفقده ابنه في سن الشباب ولم يترك خلفه سوى صبية في مقتبل عمرها، فهل يُسعد الرجل في قبره أن منحته الدولة قبل عدة أيام الجائزة التقديرية؟!

وهل كان السبب الذي حصل عليها من أجله كافيا ووجيها، حيث قالت الحيثيات أنه حول معرض الكتاب إلى مهرجان دولي!!

تضمنت حوارا مع الشاعرة فوزية أبو خالد ومواضيع أخرى:

إعادة اصدار مجلة «الجوبة» الثقافية السعودية مجددا

الرياض ـ «القدس العربي»:

وصفت الشاعرة فوزية أبو خالد تجربتها الشعرية من ديوانها الأول «إلى متى يختطفونك ليلة العرس»، إلى ديوانها الأخير «شجن الجماد»، بـ«تحولات الريح، أو رحلة الحفر في جوف الصحراء ورمالها، بحثاً عن مفاجأة الماء». وتضيف «ماذا يعني أن تتجرأ بنت في الرابعة عشرة، لم تمد رأسها بعد خارج حجر هضبة نجد وجبروت سلسلة سروات الحجاز، لتسأل ذلك السؤال الوجودي والاجتماعي الإشكالي: إلى متى يختطفونك ليلة العرس؟ لو لم تكن أحصنتها قد اكتسبت ملكة الجموح، في ذلك العمر الباكر، عبر مواجهة الارتحال في فلوات غير مأهولة، إلا بالمخاطرة وشجاعة غرة، لمخالفة قانون الجاذبية، وجبروت الجفاف!».

وتكمل فوزية أبو خالد «فلولا دهشة السؤال، التي تزداد توهجاً وحرقة، كالزيت في النار، كلما تعرضت عربة العمر لمزيد من الملاحقات، ماذا كان سيدفع أو يشفع لامرأة صهرتها حرائق الحبر إلى أن اقترفت شيطنة البنات واستراق السمع لشجن الجماد». وتقول عن مرحلة «إلى متى يختطفونك ليلة العرس»: «هي مرحلة الأحلام التحررية الكبيرة، التي حاولت بجسدي الطفولي النحيل، المزاحمة للمشاركة في حملها مع جيل الأمهات والآباء، مع ما حاول جيلي إضافته من الملح والجرح على تلك الأحلام».

ولفتت الشاعرة ، في حوار مع رئيس تحرير مجلة «الجوبة» الثقافية الإعلامي إبراهيم بن موسى الحميد: إلى أنها بعد سنين تفصلها وبين ديوان «إلى متى يختطفونك ليلة العرس»، يمكنها أن تحمل نفسها على التأمل، «أميل إلى الظن، أن قصائد ذلك الديوان، ربما لم تخلُ من التنكر حينها لمرحلتي العمرية، بانشغالها بأسئلة المرحلة التاريخية، في بعديها الثقافي والسياسي، ولهذا فربما لم يكن الاختيار المتعمد والمعاند لكتابة قصيدة النثر، في ذلك الوقت الذي كانت تعد كتاباتها، وخصوصاً في مجتمع مثل المجتمع السعودي، خروجاً عن المقبول والمستتب، إلا تعبيراً عن انحيازي، في الشكل الشعري على الأقل، لرؤية لا تصدع لغير طموح أو بالأحرى جموح ذلك الجيل، الذي ودع طفولته على فجيعة النكسة. فإذا كان ديوان «قراءة في السر» خرج من معطف رعب الاجتياح الإسرائيلي للبنان وبركان الحرب اللبنانية، وذهول العالم العربي وصمته أمام وقع الكارثة، فجاء يحمل هذياناً وصمتاً لصدمة، بتشظي تلك الأحلام الكبيرة، وانشكاك شظاياها في حبالنا العصبية، فإن ديوان «ماء السراب» حاول الاستشفاء من الخيبات وهيبتها، التي حاصرتنا من احتلال الكويت، إلى إطباق التحالف على رقابنا، في محطات أوسلو وملحقاتها، بالترياق المستحيل، وهو حرية الشعر ليس إلا».

وحول الوجع الدفين في قصائد فوزية أبو خالد تقول «تنطلق هذه القصائد من ملح الأخيلة، ومن خبز الحياة وبعض التوابل السرية الممزوجة بماء، كما تنطلق من كثير من تمارين الروح الشاقة، ورياضة الكتابة المهلكة، هذا عدا عن قبس الرمضاء، وسموم السياسة، وشهد الدهشة من حيوات وحالات عشق لم نعشها بعد، كأن تلمح جناح فراشة مغموساً في الشمع أو في حوض زهر».

درامية التشظي والانكسار العربي

وحول الفرق بين ديواني «قراءة في السر» و«ماء السراب» قالت: «إن الفرق على المستوى الشخصي هو فارق عمري، وعلى المستوى العام هو فارق تاريخي، بمعناهما الابستمولوجي والاجتماعي السياسي، كما انه فارق في أفق وأدوات الإبداع الشعري، كتعبير عن الاستقلال النسبي للتجربة الإبداعية نفسها عن محددات المكان والزمان، وفي اشتباكه النازع إلى الحرية في العلاقة بهما، وعدم التسليم بضيق شروطهما. فعلى مستوى تاريخي، كان ديوان «قراءة في السر» خارجاً من لحظة تحولات صادمة على المستوى العربي، شكلت درامية التشظي والانكسار العربي فيه سنة 1982 إضافة نوعية مرعبة، على ما عرف بنكسة حزيران (يونيو) عام 1967، بما تمثل في الاجتياح الإسرائيلي لبيروت، وفي توسيع مساحة ذبح الحلم العربي من الوريد إلى الوريد، أي من المحيط إلى الخليج، وفي تحويل بيروت من عاصمة للثقافة العربية الحديثة، وواحة من حرية وبحر للمثقفين العرب، بمختلف التيارات الفكرية والإبداعية، إلى مدينة للكوابيس والقناصة، وأشباح تلوح ببشاعات الحرب الأهلية على الهوية، كما أن ديوان «قراءة في السر» على المستوى الشخصي، كان منبعثاً من أتون مرحلة عمرية، كانت لا تزال مشبوبة بالتجربة الطلابية، لتلك المرحلة من الاعتصام والمظاهرات والعنفوان والرؤى المتمردة. أما ديوان «ماء السراب» فرغم أنه صدر بعد حرب الخليج الثانية، وتلك الانقسامات القاصمة، التي ضربت العالم العربي، ورغم أنه جاء بعد تجربة اجتماعية وسياسية وثقافية موجعة، تعرضت لها شخصياً، وتعرض لها جيل عقد كامل من المثقفين، كادت تحيل تعدد طيف الأصوات الإبداعية لتلك المرحلة إلى لون الرماد أو إلى رماد، فإنه جاء أيضاً بعد تجربة الأمومة والعمل الأكاديمي والبحثي، وبعد أن صهرتني التجربة بأسئلة العلاقة بين الحرية الاجتماعية للإبداع وبين حرية الإبداع نفسه. فلم أفعل في «ماء السراب» إلا محاولة جارحة، لاستعادة تلك البنت التي كان يلبسها القرين إلى القرين وأطلق أفراسها بغير سروج في براري الصحراء، تسابق حلمها في الحرية، وإذ يقولون إن شدة القتال تصقل الأسلحة، فقد كان لي بعد تجربتي ديواني الأول والثاني أن أدخل حواسي في أفق جديد لقصيدة النثر، ولا أظن أنه يصعب على المتابع لتجربتي الشعرية أن يلحظ ولعي بالتجريب بمعناه الفني، وشغفي المتعمد بطرق آفاق ودق أبواب من الصور والمواضيع والموسيقى، لم يجر دخول قصيدة النثر إليها من قبل، فهل من يلومني إذا كتبت فأفليت، وأنا بنت الفيافي ورفيقة رشا وشاردة وشموس معاندة».

افتتان بتجارب شعرية قديمة وحديثة

حول أبرز الشعراء الذين تأثرت بهم فوزية أبو خالد قالت: «كثيرون جداً الشعراء الذين أحب شعرهم، من طرفة بن العبد، الذي اكتشفت فيه باكراً حرقة ظلم ذوي القربى، والخنساء التي جرى دمعها إلى ركبتيها مدراراً، وعنترة الذي ود تقبيل السيوف، وامرئ القيس وعمر بن أبي ربيعة وزهير بن أبي سلمى والشريف الرضي، إضافة إلى المتنبي الذي تعلق قلبي بشعره تعلق فتاة غرة، فلم تعلمني الأيام والتعرف على التجارب الشعرية الفارعة عندما شببت على الطوق، إلا مزيداً من الافتتان به، إلى شعراء الشعر الحديث في الوطن العربي والمجتمع السعودي مثل: نازك الملائكة، فدوى طوقان، سلمى الجيوسي، سعدية مفرح، هدى الدغفق، أدونيس، محمود درويش، عبده وازن، علي الدميني، عبدالله الصيخان، إضافة إلى الشاعر بدر بن عبدالمحسن الذي وإن كان يعد شاعراً نبطياً، فإنني أعده شاعراً من شعراء الشعر الحديث، إن لم يكن بطبيعة الحال على مستوى الإيقاع، فمن دون شك على مستوى العلاقة باللغة، والقدرة المبدعة على مباغتتها بالمفردات والصور والعلاقات الجديدة بها وبما تعبر عنه».

مجلة «الجوبة» الثقافية:

يذكر أن مجلة «الجوبة» مجلة ثقافية فصلية أعادت مؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية إصدارها مجددا.

وقد صدرت المجلة بشكلها الجديد بالعدد رقم 14 بعد اسناد رئاسة تحريرها للاستاذ ابراهيم الحميد والذي مارس العمل الإعلامي والثقافي في عدد من الصحف السعودية.

وتضمن العدد افتتاحية لرئيس التحرير وتغطية لوقائع ندوة المدينة العربية التي استضافتها مؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية بالجوف تحت رعاية الأمير فهد بن بدر بن عبدالعزيز أمير منطقة الجوف وبحضور رئيس مجلس ادارة المؤسسة الاستاذ فيصل السديري ومدير عام المؤسسة زياد بن عبدالرحمن السديري ومشاركة أكثر من 45 عالما من الدول العربية والأجنبية.

كما تضمن العدد دراسة للدكتور عوض البادي عن أهمية كتابات الرحالة الأجانب لتاريخ منطقة الجوف وقصائد للشعراء هاشم الجحدلي وعيد الخميسي وعلي الحازمي وطارق ناصر ومقالات ثقافية وأدبية لعدد من الكتاب وحوارا مع الشاعرة الدكتورة فوزية أبو خالد و موضوعات للكاتب فارس الروضان عن شاعرية نزار قباني وطاهر زمخشري وقراءة تشكيلية لأعمال الفنان طه صبان للفنان مؤيد الغنام وقصصا قصيرة لعبدالرحمن الدرعان وبدرية البشر وعواض العصيمي اضافة الى شهادة للدكتور عبدالرحمن الشبيلي عن تجربته في كتابة السيرة والترجمة وقراءات لعدد من الكتب.

كما تضمنت المجلة فصلا عن العلوم تضمن موضوعات عن انفلونزا الطيور لخبيرين من جامعة الجوف وموضوعا عن الأمراض الناتجة عن ملوثات المنزل للدكتور بشير جرار أحد منسوبي جامعة الجوف.

يذكر أن مجلة «الجوبة» مجلة ثقافية فصلية وتهتم بنشر الإبداع والثقافة والعلوم وسيتم توزيعها في المملكة عن طريق احدى الشركات الوطنية للتوزيع ويمكن مراسلتها عن طريق البريد الإلكتروني التالي: Aljoubah@yahoo.com

الشاعر ابراهيم نصر الله يستنكر تحويل ديوانه الى القضاء

عمان ـ من دينا الوكيل:

استنكر الشاعر الاردني ابراهيم نصر الله قيام دائرة المطبوعات والنشر الاردنية بتحويل مجلد أعماله الشعرية التي تتطرق بعض قصائده الى أحداث «أيلول الاسود» الى القضاء بعد 22 عاما من نشره لاول مرة. وقال نصر الله في اتصال هاتفي ان ديوان الشعر الذي يضم هذه القصائد وزع في الثمانينيات دون أي اعتراض ثم أعيدت طباعته ضمن مجلد الاعمال الكاملة وأجازته دائرة المطبوعات. وأضاف «المفاجأة التي لا أجد تفسيرا لها الان هي قيام دائرة المطبوعات بتحويل الكتاب الى القضاء».

لكن دائرة المطبوعات والنشر قالت اليوم الاربعاء انها حولت الكتاب الى المحكمة لاسباب اجرائية تنظمية فقط نظرا لطبعه خارج البلاد. وفسرت صحف أردنية وعربية «منع الكتاب ومصادراته» بسبب تناول بعض القصائد لاحداث سبتمبر أيلول 1970 التي شهدت معارك دامية بين القوات الاردنية وقوات منظمة التحرير الفلسطينية. وصدر ديوان «نعمان يسترد لونه» وهو العمل الشعري الثاني لنصر الله مرتين الاولى عام 1984 والثانية عام 1994 ويضم القصائد محل الخلاف. وقالت دائرة المطبوعات والنشر في بيان أرسلته لرويترز ردا على استفسار حول منع الكتاب «لم تتم مصادرة الكتاب ولم يتم منعه من التداول... الكتاب المذكور غير مجاز من الناحية الاجرائية التنظيمية كونه طبع خارج البلاد وقد تم تحويله لهذا السبب الى القضاء للاحتكام بالموضوع... وعموما ليس لدينا مشكلة بمضمون الكتاب ومؤلفه بقدر ما كان الموضوع اجراء تنظيميا بحتا».

وحصل نصر الله وهو فلسطيني الاصل على سبع جوائز عن مجموعاته الشعرية منها جائزة سلطان العويس بالامارات عام 1997 وهي من الجوائز العربية المرموقة. كما صدرت له عدة روايات تتناول الهم الفلسطيني. وقال نصر الله ان المؤسسة العربية للدراسات والنشر في بيروت وهي ناشر الكتاب تملك اجازة خطية من السلطات الاردنية لنشر هذا الكتاب في الاردن. ونقلت صحيفة الغد اليومية الاردنية عن مدير المطبوعات والنشر مروان قطيشات قوله ان الكتاب يحتوي على مقاطع شعرية «تتو